هؤلاء لن يستفيدوا

أذكر أن رسالة جاءتني على هاتفي المحمول.. نصها: فصيلة الشيخ.. ما حكم الانتحار؟ فاتصلت بالسائل فأجاب شاب في عمر الزهور..

قلت له: عفوًا لم أفهم سؤالك.. أعد السؤال!

فأجاب بكل تضجر: السؤال واضح.. ما حكم الانتحار؟

فأردت أن أفاجئه بجواب لا يتوقعه فضحكت وقلت: مستحب.

صرخ: ماذا؟

قلت: ما رأيك أن نتعاون في تحديد الطريقة التي تنتحر بها؟ سكت الشاب.

فقلت: طيب.. لماذا تريد أن تنتحر؟

قال: لأني ما وجدت وظيفة.. والناس ما يحبونني.. وأصلًا أنا إنسان فاشل.. و.. وانطلق يروي لي قصة مطولة تحكي فشله في تطوير ذاته.. وعدم استعداده للاستفادة بما هو متاح بين يديه من قدرات..وهذه آفة عند الكثيرين.

لماذا ينظر أحدنا إلى نفسه نظرة دونية؟

لماذا يلحظ ببصره إلى الواقفين على قمة الجبل، ويرى نفسه أقل من أن يصل إلى القمة كما وصلوا..؟ أو على الأقل أن يصعد الجبل كما صعدوا..؟

ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

تدري من الذي لن يستفيد من هذا الكتاب، ولا من أي كتاب آخر من

كتب المهارات؟!

إنه الشخص المسكين الذي استسلم لأخطائه وقنع بقدراته، وقال: هذا طبعي الذي نشأت عليه..؟ وتعودت عليه، ولا يمكن أن أغيِّر طريقتي..؟ والناس تعودوا عليَّ بهذا الطبع.. أما أن أكون مثل خالد في طريقة إلقائه.. أو أحمد في بشاشته.. أو زياد في محبة الناس له.. فهذا محال.

جلست يومًا مع شيخ كبير بلغ من الكبر عتيًا.. في مجلس عام، كلُّ مَنْ فيه عوام متواضعي القدرات.. وكان الشيخ يتجاذب أحاديث عامة مع من بجانبه..

لم يكن يمثل بالنسبة لمن في المجلس إلا واحدًا منهم له حق الاحترام لكبر سنه.. فقط.

ألقيت كلمة يسيرة.. ذكرت خلالها فتوى للشيخ العلامة عبد العزيز بن باز.. فلما انتهيت.. قال لي الشيخ مفتخرًا: أنا والشيخ ابن باز كنا زملاء ندرس في المسجد عند الشيخ محمد بن إبراهيم.. قبل أربعين سنة..

التفت أنظر إليه.. فإذا هو قد انبلجت أساريره لهذه المعلومة.. كان فرحًا جدًّا؛ لأنه صاحب رجلًا ناجحًا يومًا من الدهر.

بينما جعلت أردد في نفسي: ولماذا يا مسكين ما صرت ناجحًا مثل ابن باز؟

ما دام أنك عرفت الطريق لماذا لم تواصل..؟

لماذا يموت ابن باز فتبكي عليه المنابر.. والمحاريب.. والمكتبات.. وتئن أقوام لفقده.. وأنت ستموت يومًا من الدهر.. ولعله لا يبكي عليك أحد.. إلا مجاملة.. أو عادة..!!

كلنا قد نقول يومًا من الأيام.. عرفنا فلانًا.. وزاملنا فلانًا.. وجالسنا فلانًا!! وليس هذا هو الفخر.. إنما الفخر أن تشمخ فوق القمة كما شمخ.

فكن بطلًا.. واعزم من الآن أن تطبِّق ما تقتنع بنفعه من قدرات.. كن ناجحًا.. اقلب عبوسك ابتسامة.. وكآبتك بشاشة.. وبخلك كرمًا.. وغضبك حلمًا.. اجعل المصائب أفراحًا.. والإيمان سلاحًا.

استمتع بحياتك.. فالحياة قصيرة لا وقت فيها للغم.. أما كيف تفعل ذلك؛ فهذا ما ألفت الكتاب لأجله.. كن معي وسنصل إلى الغاية بإذن الله.

بقي معنا

البطل الذي لديه العزيمة والإصرار على أن يطوِّر مهاراته.. ويستفيد من قدراته..

ماذا سنتعلم؟!

يشترك الناس غالبًا في أسباب الحزن والفرح.. فهم جميعًا يفرحون إذا كثرت أموالهم.

ويفرحون إذا ترقوا في أعمالهم، ويفرحون إذا شفوا من أمراضهم، ويفرحون إذا ابتسمت الدنيا لهم.. وتحققت لهم مراداتهم، وفي الوقت نفسه.. هم جميعًا يحزنون إذا افتقروا، ويحزنون إذا مرضوا،

ويحزنون إذا أهينوا.

فما دام ذلك كذلك.. فتعال نبحث عن طرق نديم بها أفراحنا.. نتغلب بها على أتراحنا.

نعم.. سُنة الحياة أن ينقلب المرء بين حلوة ومرة.. أنا معك في هذا..

ولكن لماذا نعطي المصائب والأحزان في أحيان كثيرة أكبر من حجمها.. فنغتم أيامًا.. مع إمكاننا أن نجعل غمنا ساعة.. ونحزن ساعات على ما لا يستحق الحزن.. لماذا؟!

أعلم أن الحزن والغم يهجمان على القلب ويدخلانه من غير استئذان.. ولكن كل باب همٍّ يفتح، فهناك ألف طريقة لإغلاقه.

هذا مما سنتعلمه.

تعال إلى شيء آخر.. كما نرى من الناس المحبوبين.. الذين يفرح الآخرين بلقائهم.. ويأنسون بمجالستهم.. أفلم تفكر أن تكون واحدًا منهم..؟

لماذا ترضى أن تبقى دائمًا معجَبًا (بفتح الجيم)، ولا تسعى لأن تكون معجِبًا (بكسرها)؟!

هنا ستتعلم كيف تصبح كذلك.

لماذا إذا تكلَّم ابن عمك في المجلس أنصت له الناس وملك أسماعهم.. وأعجبوا بأسلوب كلامه.. وإذا تكلمت أنت انصرفوا عنك.. وتنازعتهم الأحاديث الجانبية؟!

لماذا؟ مع أن معلوماتك قد تكون أكثر.. وشهادتك أعلى.. ومنصبك أرفع.

لماذا إذن استطاع أن يملك أسماعهم وعجزت أنت؟!

لماذا ذاك الأب يحبه أولاده، ويفرحون بمرافقته في كلِّ ذهاب ومجيء.. وآخر لا يزال يلتمس من أولاده مرافقته، وهم يعتذرون بصنوف الأعذار.. لماذا؟! أليس كلاهما أب؟!!ولماذا.. ولماذا.

سنتعلم هنا كيفية الاستمتاع بالحياة.

أساليب جذب الناس.. والتأثير فيهم.. تحمل أخطائهم.

التعامل مع أصحاب الأخلاقيات المؤذية.. إلى غير ذلك.

فمرحبًا بك.

كلمة

ليس النجاح أن تكتشف ما يحب الآخرون

إنما النجاح أن تمارس مهارات تكسب بها محبتهم.

لماذا نبحث عن المهارات؟

زرتُ إحدى المناطق الفقيرة لإلقاء محاضرة، جاءني بعدها أحد المدرسين القادمين من خارج المنطقة.

قال لي: نودُّ أن تساعدنا في كفالة بعض الطلاب.

قلت: عجبًا!! أليست المدارس حكومية.. مجانية؟!

قال: بلى.. لكننا نكفلهم للدراسة الجامعية.

قلت: كذلك الجامعة..أليست حكومية.. بل تصرف للطلاب مكافآت؟!

قال: سأشرح لك القصة.

قلت: هات.

قال: يتخرَّج من الثانوية عندنا طلاب نسبتهم المئوية لا تقل عن ٩٩٪.. يملك من الذكاء والفهم قدرًا لو وزِّع على أمة لكفاهم.

فإذا تخرَّج وعزم أن يسافر خارج قريته ليدرس في الطب أو الهندسة.. أو الشريعة.. أو الكمبيوتر.. أو غيرها.. منعه أبوه وقال: يكفي ما تعلمت.. فاجلس عندي لرعي الغنم.

صرخت من غير شعور: رعي غنم!!

قال: نعم.. رعي غنم. وفعلًا يجلس المسكين عند أبيه يرعى الغنم.. وتموت هذه القدرات والمهارات.. وتمضي عليه السنين، وهو راعي غنم.. بل قد يتزوَّج.. ويرزق بأولاد.. ويمارس معهم أسلوب أبيه.. فيرعون الغنم!!

قلت: والحل؟!

قال: الحل أننا نقنع الأب استخدام عامل موظف راعي غنم.. يستأجره ببضع مئات من الريالات.. ندفعها نحن له.. وولده النابغة يستثمر مواهبه وقدراته، ونتكفل بمصاريف الولد أيضًا حتى يتخرَّج..

ثم خفض المدرس رأسه.. وقال: حرام أن تموت المواهب والقدرات في صدور أصحابها.. وهم يتحسرون عليها.

تفكرت في كلامه بعدها.. فرأيت أننا لا يمكن أن نصل إلى القمة إلا بممارسة مهارات أو اكتساب مهارات.

نعم.. أتحدى أن تجد أحدًا من الناجحين.. سواء في علم.. أو دعوة.. أو خطابة.. أو تجارة.. أو طب.. أو هندسة.. أو كسب محبة الناس، أو الناجحين أسريًّا.. كأب ناجح مع أولاده.. أو زوجة ناجحة مع زوجها، أو اجتماعيًّا.. كالناجح مع جيرانه وزملائه، أعني الناجحين.. ولا أعني الصاعدين على أكتاف الآخرين..!!

أتحدى أن تجد أحدًا من هؤلاء بلغ مرتبة في النجاح.. إلا وهو يمارس مهارات معينة – شعر أو لم يشعر – استطاع بها أن يصل إلى النجاح.

قد يمارس بعض الناس مهارات ناجحة بطبيعته.. وقد يتعلَّم آخرون مهارات فيمارسونها.. فينجحون.

نحن هنا نبحث عن هؤلاء الناجحين.. وندرس حياتهم.. ونراقب طريقتهم.. لنعرف كيف نجحوا؟ وهل يمكن أن نسلك الطريق نفسه؛ فننجح مثلهم..؟

استمعت قبل فترة إلى مقابلة مع أحد أثرياء العالم الشيخ سليمان

الراجحي.. فوجدته جبلًا في خلقه وفكره، رجل يملك المليارات.. آلاف العقارات.. بنى مئات المساجد.. كفل آلاف الأيتام.. رجل في قمة النجاح، تكلم عن بداياته قبل خمسين سنة.. كان من عامة الناس.. لا يكاد يملك إلا قوت يومه، وربما لا يجده أحيانًا! ذكر أنه ربما نظَّف بيوت بعض الناس ليكسب رزقه.. وربما واصل ليله بنهاره عاملًا في دكان أو مصرف.

تكلم كيف كان في سفح الجبل.. ثم لا يزال يصعد حتى وصل القمة.

جعلت أتأمل مهاراته وقدراته.. فوجدت أن الكثير منا يمكن أن يكون مثله بتوفيق الله.. لو تعلَّم مهارات وتدرَّب عليها.. وثابر وثبت.. نعم.

أمر آخر يدعونا إلى البحث عن المهارات.. هو أن بعضنا يكون عنده قدرات على الإبداع لكنه غافل عنها.. أولم يساعده أحد على إذكائها.. كقدرة على الإلقاء.. أو فكر تجاري.. أو ذكاء معرفي.

قد يكتشف هذه القدرات بنفسه.. أو يذكي هذه المهارات مدرس.. أو مسئول وظيفي.. أو أخ ناصح.. وما أقلهم.

وقد تبقى هذه المهارات حبيسة النفس حتى يغلبها الطبع السائر بين الناس.. وتموت في مهدها.. ونفقد عندها قائدًا أو خطيبًا أو عالمًا.. أو ربما زوجًا ناجحًا أو أبًا ناصحًا.

نحن هنا سنذكر مهارات متميزة نذكرك بها إنْ كانت عندك، وندرِّبك عليها إن كنت فاقدًا لها.. فهلم.

فكرة

إذا صعدت الجبل فانظر إلى القمة.. ولا تلتفت للصخور المتناثرة حولك اصعد بخطوات واثقة.. ولا تقفز فتزل قدمك.

طـــوِّر نفســك

تجلس مع بعض الناس وعمره عشرون سنة.. فترى له أسلوبًا ومنطقًا وفكرًا معينًا.. ثم تجلس معه وعمره ثلاثون.. فإذا قدراته هي هي.. لم يتطور فيه شيء.. بينما تجلس مع آخرين فتجدهم يستفيدون من حياتهم.. تجده كل يوم متطورًا عن اليوم الذي قبله.

بل ما تمرُّ ساعة إلا ارتفع بها دينًا أو دنيا.. إذا أردت أن تعرف أنواع الناس في ذلك؛ فتعال نتأمل في أحوالهم واهتماماتهم.

القنوات الفضائية مثلًا.. مِن الناس مَن يتابع ما ينمِّي فكره المعرفي.. ويطور ذكاءه، ويستفيد من خبرات الآخرين من خلال متابعة الحوارات الهادفة.. يكتسب منها مهارات رائعة في النقاش.. واللغة.. والفهم.. وسرعة البديهة.. والقدرة على المناظرة.. وأساليب الإقناع.

ومن الناس من لا يكاد يفوته مسلسل يحكي قصة حب فاشلة.. أو مسرحية عاطفية.. أو فيلم خيالي مرعب.. أو أفلام لقصص افتراضية تافهة.. لا حقيقة لها.

تعال بالله عليك.. وانظر إلى حال الأول وحال الثاني بعد خمس سنوات.. أو عشر. أيهما سيكون أكثر تطورًا في مهاراته؟ في القدرة على الاستيعاب؟ في سعة الثقافة؟ في القدرة على الإقناع؟ في أسلوب التعامل مع الأحداث؟

لا شكَّ أنه الأول.

بل تجد أسلوب الأول مختلفًا.. فاستشهاداته بنصوص شرعية.. أو أرقام وحقائق.

أما الثاني فاستشهاداته بأقوال الممثلين.. والمغنين.. حتى قال أحدهم يومًا في معرض كلامه.. والله يقول: اسع يا عبدي، وأنا أسعى معاك!!

فنبهناه إلى أن هذه ليست آية.. فتغيَّر وجهه وسكت.. ثم تأملت العبارة.. فإذا الذي ذكره هو مثل مصري انطبع في ذهنه من أحد المسلسلات!!

نعم.. كل إناء بما فيه ينضح.

بل تعال إلى جانب آخر.. في قراءة الصحف والمجلات.. كم هم أولئك الذين يهتمون بقراءة الأخبار المفيدة والمعلومات النافعة التي تساعد على تطوير الذات.. وتنمية المهارات.. وزيادة المعارف.. بينما كم الذين لا يكادون يلتفتون إلى غير الصفحات الرياضية والفنية؟! حتى صارت الجرائد تتنافس في تكثير الصفحات الرياضية والفنية.. على حساب غيرها..

قل مثل ذلك في مجالسنا التي نجلسها.. وأوقاتنا التي نصرفها.

فأنت إذا أردت أن تكون رأسًا لا ذيلًا.. احرص على تتبع المهارات أينما كانت.. درِّب نفسك عليها.

كان عبد الله رجلًا متحمسًا.. لكنه تنقصه بعض المهارات.. خرج يومًا من بيته إلى المسجد ليصلي الظهر. يسوقه الحرص على الصلاة ويدفعه تعظيمه للدين.. كان يحثُّ خطاه خوفًا من أن تقام الصلاة قبل وصوله إلى المسجد.

مرَّ أثناء الطريق بنخلة في أعلاها رجل بلباس مهنته يشتغل بإصلاح التمر.. عجب عبد الله من هذا الذي ما اهتم بالصلاة.. وكأنه ما سمع أذانًا، ولا ينتظر إقامة..!! فصاح به غاضبًا: انزل للصلاة.

فقال الرجل بكلِّ برود: طيب.. طيب.

فقال: عجل.. صلِّ يا حمار!!

فصرخ الرجل: أنا حمار..!! ثم انتزع عسيبًا من النخلة، ونزل ليفلق به رأسه!! غطى عبد الله وجهه بطرف غترته لئلا يعرفه.. وانطلق يعدو إلى المسجد. نزل الرجل من النخلة غاضبًا.. ومضى إلى بيته وصلى وارتاح قليلًا.. ثم خرج إلى نخلته ليكمل عمله.

دخل وقت العصر، وخرج عبد الله إلى المسجد.. مرَّ بالنخلة فإذا الرجل فوقها.. فغيَّر أسلوب تعامله.

قال: السلام عليكم.. كيف الحال؟ **قال:** الحمد لله بخير. **قال:** بشر!! كيف الثمر هذه السنة؟ **قال:** الحمد لله. **قال عبد الله:** الله يوفقك ويرزقك.. ويوسع عليك.. ولا يحرمك أجر عملك وكدك لأولادك.. ابتهج الرجل لهذا الدعاء.. فأمن على الدعاء وشكر.

فقال عبد الله: لكن يبدو أنك لشدة انشغالك لم تنتبه إلى أذان العصر!!

قد أذن العصر.. والإقامة قريبة.. فلعلك تنزل لترتاح وتدرك الصلاة.. وبعد الصلاة أكمل عملك.. الله يحفظ عليك صحتك.

فقال الرجل: إنْ شاء الله.. إنْ شاء الله.

وبدأ ينزل برفق.. ثم أقبل على عبد الله وصافحه بحرارة.

وقال: أشكرك على هذه الأخلاق الرائعة.. أما الذي مرَّ بي الظهر؛ فيا ليتني أراه لأعلِّمه مَن الحمار!!

نتيجة

مهاراتك في التعامل مع الآخرين..

على أساسها تتحدد طريقة تعامل الناس معك.

لا تبكِ على اللبن المسكوب

بعض الناس يعتبر طبعه الذي نشأ عليه.. وعرفه الناس به.. وتكونت في أذهانهم الصورة الذهنية عنه على أساسه.. يعتبره شيئًا لازمًا له لا يمكن تغييره.. فيستسلم له ويقنع.. كما يستسلم لطول جسمه أو لون بشرته.. إذ لا يمكنه تغيير ذلك.

مع أن الذكي يرى أن تغيير الطباع لعله أسهل من تغيير الملابس!! فطباعنا ليست كاللبن المسكوب الذي لا يمكن تداركه أو جمعه.. بل هي بين أيدينا.. بل نستطيع بأساليب معينة أن نغيِّر طباع الناس.. بل عقولهم.. ربما!!

ذكر ابن حزم في كتابه «طوق الحمامة»: أنه كان في الأندلس تاجر مشهور.. وقع بينه وبين أربعة من التجار تنافس.. فأبغضوه.. وعزموا على أن يزعجوه. فخرج ذات صباح من بيته متجهًا إلى متجره..لابسًا قميصًا أبيض وعمامة بيضاء.. لقيه أولهم فحياه ثم نظر إلى عمامته وقال: ما أجمل هذه العمامة الصفراء. **فقال التاجر**: أعمي بصرك؟!! هذه عمامة بيضاء. **فقال**: بل صفراء.. صفراء لكنها جميلة. تركه التاجر ومضى.. فلما مشى خطوات لقيه الآخر.. فحياه ثم نظر إلى عمامته وقال: ما أجملك اليوم.. وما أحسن لباسك.. خاصة هذه العمامة الخضراء. **فقال التاجر**: يا رجل العمامة بيضاء. **قال**: بل خضراء.

قال: بيضاء.. اذهب عني.. ومضى المسكين يكلِّم نفسه.. وينظر بين الفينة والأخرى إلى طرف عمامته المتدلي على كتفه.. ليتأكد أنها بيضاء.

وصل إلى دكانه.. وحرَّك القفل ليفتحه.. فأقبل إليه الثالث: وقال: يا فلان.. ما أجملك هذا الصباح.. خاصة لباسك الجميل.. وزادت جمالك هذه

العمامة الزرقاء.. نظر التاجر إلى عمامته ليتأكد من لونها.. ثم فرك عينيه **وقال:** يا أخي عمامتي بيضاااااء. **قال:** بل زرقاء.. لكنها عمومًا جميلة.. لا تحزن.

ثم مضى.. فجعل التاجر يصيح به.. العمامة بيضاء.. وينظر إليها.. ويقلب أطرافها.. جلس في دكانه قليلًا.. وهو لا يكاد يصرف بصره عن طرف عمامته. دخل عليه الرابع.. وقال: أهلًا يا فلان.. ما شاء الله!! من أين اشتريت هذه العمامة الحمراء؟!

فصاح التاجر: عمامتي زرقاء. **قال:** بل حمراء.

قال التاجر: بل خضراء.. لا.. لا.. بل بيضاء.. لا.. زرقاء.. سوداء. ثم ضحك.. ثم صرخ.. ثم بكى.. وقام يقفز!!

قال ابن حزم: فلقد كنت أراه بعدها في شوارع الأندلس مجنونًا يقذفه الصبيان بالحصى!![1] فإذا كان هؤلاء بمهارات بدائية غيَّروا طبع رجل.. بل غيَّروا عقله.. فما بالك بمهارات مدروسة.. منورة بنصوص الوحي.. يمارسها المرء تعبدًا لله تعالى بها. فطبِّق ما تقف عليه من مهارات حسنة لتسعد.

وإن قلت لي: لا أستطيع..! قلت: حاول. **وإن قلت:** لا أعرف..!! قلت: تعلَّم. **وقد قال ﷺ:** «**إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم**».

وجهة نظر

البطل يتجاوز القدرة على تطوير مهاراته

إلى القدرة على تطوير مهارات الناس.. وربما تغييرها!!

---

(١) القصة على ذمة ابن حزم.. رحمه الله.

لماذا يتحاور اثنان في مجلس فينتهي حوارهما بخصومة.. بينما يتحاور آخران وينتهي الحوار بأنس ورضا.. إنها مهارات الحوار.

لماذا يخطب اثنان الخطبة نفسها بألفاظها نفسها.. فترى الحاضرين عند الأول ما بين متثائب ونائم.. أو عابث بسجاد المسجد.. أو مغير لجلسته مرارًا.. بينما الحاضرون عند الثاني مشدودون متفاعلون.. لا تكاد تطرف لهم عين أو يغفل لهم قلب..؟

إنها مهارات الإلقاء..

لماذا إذا تحدَّث فلان في المجلس أنصت له السامعون.. ورموا إليه أبصارهم.. بينما إذا تحدَّث آخر انشغل الجالسون بالأحاديث الجانبية.. أو قراءة الرسائل من هواتفهم المحمولة..؟

إنها مهارات الكلام..

لماذا إذا مشى مدرس في ممرات مدرسته رأيت الطلاب حوله.. هذا يصافحه.. وذاك يستشيره.. وثالث يعرض عليه مشكلة.. ولو جلس في مكتبه وسمح للطلاب بالدخول لامتلأت غرفته في لحظات.. الكُّل يحب مجالسته.

بينما مدرس آخر.. أو مدرسون.. يمشي أحدهم في مدرسته وحده.. ويخرج من مسجد المدرسة وحده.. فلا طالب يقترب مبتهجًا مصافحًا.. أو شاكيًا مستشيرًا.. ولو فتح مكتبه من طلوع الشمس إلى غروبها.. وآناء الليل وأطراف النهار.. لما اقترب منه أحد أو رغب في مجالسته.. لماذا؟!!

إنها مهارات التعامل مع الناس..

لماذا إذا دخل شخص إلى مجلس عام هشَّ الناس في وجهه وبشوا.. وفرحوا بلقائه.. وودَّ كلُّ واحد لو يجلس بجانبه.. بينما يدخل آخر.. فيصافحونه مصافحة باردة – عادة أو مجاملة- ثم يتلفت يبحث عن مكان يجلس فيه، فلا يكاد أحد يوسع له أو يدعوه للجلوس إلى جانبه.. لماذا؟!

إنها مهارات جذب القلوب والتأثير في الناس.

لماذا يدخل أب إلى بيته فيهشُّ أولاده له.. ويقبلون إليه فرحين.. بينما يدخل الثاني على أولاده.. فلا يلتفتون إليه..؟

إنها مهارات التعامل مع الأبناء..

قل مثل ذلك في المسجد.. وفي الأعراس.. وغيرها.

يختلف الناس بقدراتهم ومهاراتهم في التعامل مع الآخرين.. وبالتالي يختلف الآخرون في طريقة الاحتفاء بهم أو معاملتهم.. والتأثير في الناس، وكسب محبتهم أسهل مما تتصور..!

لا أبالغ في ذلك؛ فقد جربته مرارًا.. فوجدت أن قلوب أكثر الناس يمكن صيدها بطرق ومهارات سهلة.. بشرط أن نصدق فيها ونتدرب عليها فنتقنها.

والناس يتأثرون بطريقة تعاملنا.. وإن لم نشعر.

أتولى منذ ثلاث عشرة سنة الإمامة والخطابة في جامع كلية عسكرية..

كان طريقي إلى المسجد يمرُّ ببوابة يقف عندها حارس أمن يتولى فتحها وإغلاقها.. كنت أحرص إذا مررت به أن أمارس معه مهارة الابتسامة.. فأشير بيدي مسلمًا مبتسمًا ابتسامةً واضحةً.. وبعد الصلاة أركب سيارتي راجعًا للبيت.

وفي الغالب يكون هاتفي المحمول مليئًا باتصالات ورسائل مكتوبة وردت أثناء الصلاة.. فأكون مشغولًا بقراءة الرسائل، فيفتح الحارس البوابة، فأمر به وعيني على هاتفي، وأغفل عن التبسم. حتى تفاجأت به يومًا يوقفني وأنا خارج، ويقول: يا شيخ..! أنت زعلان مني؟! **قلت:** لماذا؟

قال: لأنك وأنت داخل تبتسم وتسلم وأنت فرحان.. أما وأنت خارج فتكون غير مبتسم ولا فرحان!! وكان رجلًا بسيطًا.. فبدأ المسكين يقسم لي أنه يحبني ويفرح برؤيتي.. فاعتذرت له، وبيَّنت له سبب انشغالي.

ثم انتبهت فعلًا إلى أن هذه المهارات مع تعودنا عليها تصبح من طبعنا.. يلاحظها الناس إذا غفلنا عنها.

إضاءة

لا تكسب المال وتفقد الناس..

فإن كسب الناس طريق لكسب المال.

أي الناس أحب إليك؟

تكون أقوى الناس قدرةً على استعمال مهارات التعامل مع الآخرين عندما تتعامل مع كلِّ أحد تعاملًا رائعًا يجعله يشعر أنه أحب الناس إليك.. فتتعامل مع أمك تعاملًا رائعًا مشبعًا بالتفاعل والأنس والاحتفاء إلى درجة أنها تشعر أن هذا التعامل الراقي لم يلقه أحد من قبلها.

وقل مثل ذلك عند تعاملك مع أبيك.. مع زوجتك.. أولادك.. زملائك.. بل قل مثله عند تعاملك مع من تلقاهم مرة واحدة.. كبائع في دكان.. أو عامل في محطة وقود.

كل هؤلاء تستطيع أن تجعلهم يجمعون على أنك أحب الناس إليهم إذا أشعرتهم أنهم أحب الناس إليك..

وقد كان ﷺ قدوةً في ذلك.

فمن خلال تتبع سيرته.. وُجد أنه كان يتعامل بمهارات أخلاقية راقية.. فيعامل كل أحد يلقاه بمهارات من احتفاء وتفاعل وبشاشة.. حتى يشعر ذلك الشخص أنه أحب الناس إليه.. وبالتالي يكون هو أيضا ﷺ أحب الناس إليهم.. لأنه أشعرهم بمحبته. كان عمرو بن العاص رضي الله عنه داهية من دهاة العرب.. حكمةً وفطنةً وذكاءً.. فأدهى العرب أربعة.. عمرو واحد منهم. أسلم عمرو وكان رأسًا في قومه.. فكان إذا لقي النبي ﷺ في طريق رأى البشاشة والبشر والمؤانسة.. وإذا دخل مجلسًا فيه النبي ﷺ رأى الاحتفاء والسعادة بمقدمه.. وإذا دعاه النبي ﷺ ناداه بأحب الأسماء إليه.

شعر عمرو من هذا التعامل الراقي.. ودوام الاهتمام والتبسم أنه أحب

الناس إلى رسول الله ﷺ.. فأراد أن يقطع الشك باليقين.. فأقبل يومًا إلى النبي ﷺ وجلس إليه.. ثم قال: يا رسول الله.. أي الناس أحب إليك؟ **فقال** ﷺ: «**عائشة**». **قال عمرو**: لا.. من الرجال يا رسول الله؟ لست أسألك عن أهلك. **فقال** ﷺ: «**أبوها**». **قال عمرو**: ثم من؟ **قال**: «**ثم عمر بن الخطاب**». **قال**: ثم أي.. فجعل النبي ﷺ يعدد رجالًا.. يقول: فلان.. ثم فلان.. بحسب سبقهم إلى الإسلام.. وتضحيتهم من أجله. **قال عمرو**: فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم.

فانظر كيف استطاع ﷺ أن يملك قلب عمرو بمهارات أخلاقية مارسها معه.. بل كان عليه الصلاة والسلام ينزل الناس منازلهم.. وقد يترك أشغاله لأجلهم.. لإشعارهم بمحبته لهم وقدرهم عنده.

لما توسع ﷺ بالفتوحات، وبدأ ينتشر الإسلام.. جعل ﷺ يرسل الدعاة من عنده لدعوة القبائل إلى الإسلام.. وربما احتاج الأمر أن يرسل جيشًا.. وكان عدي بن حاتم الطائي.. ملكًا ابن ملك.. أرسل النبيُّ ﷺ جيشًا إلى قبيلة «طيئ».. وكان عدي قد هرب من الحرب فلما يشهدها.. واحتمى بالروم في الشام. وصل جيش المسلمين إلى ديار طيئ.. كانت هزيمة طيئ سهلة.. فلا ملك يقود.. ولا جيش مرتب.. وكان المسلمون في حروبهم.. يحسنون إلى الناس.. ويعطفون وهم في قتال..كان المقصود صدَّ كيد قوم عدي عن المسلمين.. وإظهار قوة المسلمين لهم.

أسر المسلمون بعض قوم عدي.. وكان من بينهم أخت لعدي بن حاتم.. مضوا بالأسرى إلى المدينة.. حيث رسول الله ﷺ، وأخبروا النبي ﷺ بفرار عدي إلى الشام.. فعجب ﷺ من فراره!! كيف يفرُّ من الدين؟ كيف يترك قومه؟

ولكن لم يكن إلى الوصول إلى عدي سبيل.. لم يطب المقام لعدي في ديار الروم.. فاضطر للرجوع لديار العرب.. ثم لم يجد بُدًّا من أن يذهب إلى المدينة للقاء النبي ﷺ ومصالحته.. أو التفاهم على شيء يرضيهما[1].

يقول عدي، وهو يحكي قصة ذهابه إلى المدينة:

ما رجل من العرب كان أشد كراهةً لرسول الله ﷺ مني.. وكنت على دين النصرانية.. وكنت ملكًا في قومي لما كان يصنع بي، فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته كراهيةً شديدةً.. فخرجت حتى قدمت الروم على قيصر.

قال: فكرهت مكاني ذلك. **فقلت:** والله لو أتيت هذا الرجل.. فإن كان كاذبًا لم يضرني.. وإن كان صادقًا علمت.. فقدمت فأتيته. فلما دخلت المدينة جعل الناس يقولون: هذا عدي بن حاتم.. هذا عدي بن حاتم.. فمشيت حتى أتيت فدخلت على رسول الله ﷺ في المسجد؛ فقال لي: «**عدي بن حاتم؟!**». **قلت:** عدي بن حاتم.

فرح النبي ﷺ بمقدمه.. واحتفى به.. مع أن عديًّا محاربٌ للمسلمين، وفارٌ من الحرب.. ومبغضٌ للإسلام.. ولاجئٌ إلى النصارى.

ومع ذلك لقيه ﷺ بالبشاشة والبِشر.. وأخذ بيده يسوقه معه إلى بيته.. عدي وهو يمشي بجانب النبي ﷺ يرى أن الرأسين متساويان..!!

فمحمد ﷺ ملك على المدينة وما حولها.. وعدي ملك على جبال طيئ وما حولها. ومحمد ﷺ على دين سماوي «الإسلام».. وعدي على دين سماوي «النصرانية». ومحمد ﷺ عنده كتاب منزل «القرآن».. وعدي عنده كتاب منزل «الإنجيل».. كان عدي يشعر أنه لا فرق بينهما إلا في القوة والجيش.

---

(١) وقيل: إن أخته هي التي ذهبت إليه في الشام وردته إلى العرب.

في أثناء الطريق وقعت ثلاثة مواقف:

بينما هما يمشيان إذا بامرأة قد وقفت في وسط الطريق فجعلت تصيح: يا رسول الله.. لي إليك حاجة.. فانتزع النبي ﷺ يده من يد عدي، ومضى إليها.. وجعل يستمع إلى حاجتها.

عدي بن حاتم.. الذي قد عرف الملوك والوزراء جعل ينظر إلى هذا المشهد.. ويقارن تعامل النبي ﷺ مع الناس بتعامل من رآهم من قبل من الرؤساء والسادة.. فتأمل طويلًا ثم قال: والله ما هذه بأخلاق الملوك.. هذه أخلاق الأنبياء.

وانتهت المرأة من حاجتها.. فعاد النبيُّ ﷺ إلى عدي.. ومضيا يمشيان.. فبينما هما كذلك.. فإذا برجل يقبل على النبيِّ ﷺ. فماذا قال الرجل؟

هل قال: يا رسول الله، عندي أموال زائدة أبحث لها عن فقير؟! أم قال: حصدت أرضي وزاد عندي الثمر.. فماذا أفعل به؟ يا ليته قال شيئًا من ذلك.. لعل عديًّا إذا سمعه يشعر بغنى المسلمين وكثرة أموالهم.

قال الرجل: يا رسول الله.. أشكو إليك الفاقة والفقر. ما يكاد هذا الرجل يجد طعامًا يسدُّ به جوعة أولاده.. ومن حوله من المسلمين يعيشون على الكفاف ليس عندهم ما يساعدونه به.

قال الرجل هذه الكلمات وعدي يسمع.. فأجابه النبيُّ ﷺ بكلمات ومضى.. فلما مشيا خطوات.. أقبل رجل آخر.. قال: يا رسول الله، أشكو إليك قطع الطريق!!

يعني أننا يا رسول الله لكثرة أعدائنا حولنا لا نأمن أن نخرج عن بنيان المدينة لكثرة من يعترضنا من كفار أو لصوص.

أجابه النبيُّ ﷺ بكلمات ومضى.. جعل عدي يقلب الأمر في نفسه.. هو في عزٍّ وشرف في قومه.. وليس له أعداء يتربصون به.

فلماذا يدخل هذا الدين الذي أهله في ضعف ومسكنة.. وفقر وحاجة..

وصلا إلى بيت النبيِّ ﷺ.. فدخلا.. فإذا وسادة واحدة فدفعها النبيُّ ﷺ إلى عدي إكرامًا له.. وقال: «**خذ هذه فاجلس عليها**».. فدفعها عدي إليه وقال: بل اجلس عليها أنت.. فقال ﷺ: «**بل أنت**».. حتى استقرت عند عدي، فجلس عليها..

عندها.. بدأ النبيُّ ﷺ يحطم الحواجز بين عدي والإسلام.. «**يا عدي أسلم.. تسلم.. أسلم تسلم.. أسلم تسلم**». **قال عدي**: إني على دين.. **فقال ﷺ**: «**أنا أعلم بدينك منك**». **قال**: أنت أعلم بديني مني؟ **قال**: «**نعم.. ألست من الركوسية؟!**».

والركوسية ديانة نصرانية مشربة بشيء من المجوسية.. فمن مهارته ﷺ في الإقناع أنه لم يقل: ألست نصرانيًّا.. وإنما تجاوز هذه المعلومة إلى معلومة أدق منها؛ فأخبره بمذهبه في النصرانية تحديدًا.

كما لو لقيك شخص في أحد بلاد أوروبا وقال لك: لماذا لا تتنصر؟ **فقلت**: إني على دين. **فلم يقل لك**: ألست مسلمًا.. ولم يقل: ألست سُنيًّا.. وإنما قال: ألست شافعيًّا.. أو حنبليًّا.. عندها ستدرك أنه يعرف كل شيء عن دينك. فهذا الذي فعله المعلم الأول ﷺ مع عدي.. قال: «**ألست من الركوسية؟!**»

فقال عدي: بلى. **فقال ﷺ**: «**فإنك إذا غزوت مع قومك تأكل فيهم**

المرباع؟»[1] **قال:** بلى. **فقال ﷺ: «فإن هذا لا يحل لك في دينك..»**. فتضعضع لها عدي.. وقال: نعم. **فقال ﷺ: «أما إني أعلم الذي يمنعك من الإسلام». أنك تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة لهم.. وقد رمتهم العرب.. يا عدي.. أتعرف الحيرة؟**[2]. **قلت:** لم أرها، وقد سمعت بها.

قال ﷺ: «فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد».

أي: سيقوى الإسلام إلى درجة أن المرأة المسلمة الحاجة تخرج من الحيرة حتى تصل إلى مكة ليس معها إلا محرم.. من غير أحد يحميها.

وتمرُّ على مئات القبائل؛ فلا يجرؤ أحد أن يعتدي عليها أو يسلبها مالها.. لأن المسلمين صارت لهم قوة وهيبة.. إلى درجة أن أحدًا لا يجرؤ على التعرض لمسلم خوفًا من انتصار المسلمين له.

فلما سمع عدي ذلك.. جعل يتصور المنظر في ذهنه.. امرأة تخرج من العراق حتى تصل إلى مكة.. معنى ذلك أنها ستمر بشمال الجزيرة.. يعني ستمر بجبال طيئ.. ديار قومه، فتعجب عدي، وقال في نفسه: فأين عنها ذعار طيئ الذين سعروا البلاد!! **ثم قال ﷺ: «وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز». قال:** كنوز ابن هرمز؟ **قال: «نعم.. كسرى بن هرمز.. ولتنفقن أمواله في سبيل الله»**.

قال ﷺ: «ولئن طالت بك حياة لترين الرَّجل يخرج بملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه؛ فلا يجد أحدًا يقبله منه».

---

(١) المرباع: إذا غزت القبيلة قسَّم رئيسها الغنيمة أربعة أقسام، فأخذ الربع له وحده، وهذا حرام في دين النصرانية، جائز عند العرب.

(٢) الحيرة: مدينة بالعراق.

يعني: من كثرة المال يخرج الغني يطوف بصدقته لا يجد فقيرًا يعطيه إياها.. ثم بدأ ﷺ يعظ عديًا ويذكره بالآخرة.

فقال: «**وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا جنهم**».

سكت عدي متفكرًا.

ففاجأه ﷺ قائلًا: «**يا عدي.. مَا يُفِرُّكَ أَنْ تَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله؟! أوتعلم من إله أعظم من الله؟!**»

قال عدي: فإني حنيف مسلم.. أشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.. فتهلل وجه النبيِّ ﷺ فرحًا مستبشرًا.

قال عدي بن حاتم: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة تطوف بالبيت في غير جوار.. ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى.. والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها.(١)

فتأمل كيف كان هذا الأنس منه ﷺ لعدي.. وهذا الاحتفاء الذي قابله به.. حتى شعر به عدي.. تأمل كيف كان كلُّ ذلك جاذبًا لعدي للدخول في الإسلام.. فلو مارسنا هذا الحبَّ مع الناس.. مهما كانوا.. لملكنا قلوبهم.

فكرة

بالرفق واستعمال مهارات التعامل والإقناع

نستطيع أن نحقق ما نريد.

---

(١) رواه مسلم وأحمد.

استمتع بالمهارات

المهارات متعة حسية، لا أعني بها الأجر الأخروي فقط، لا وإنما هي متعة وفرح تشعر به حقيقة.. فاستمتع بها، ومارسها مع جميع الناس، كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، قريبهم وبعيدهم.. كلهم.. مارس معهم هذه المهارات.. إما لاتقاء أذاهم.. أو لكسب محبتهم.. أو لإصلاحهم.

نعم إصلاحهم..

كان عليٌّ بن الجهم شاعرًا فصيحًا.. لكنه كان أعرابيًّا جلفًا لا يعرف من الحياة إلا ما يراه في الصحراء.. وكان المتوكل خليفة متمكنًا.. يُغدى عليه، ويراح بما يشتهي.. دخل علي بن الجهم بغداد يومًا فقيل له: إن من مدح الخليفة حظى عنده، ولقي منه الأعطيات.

فاستبشر عليٌّ ويمم جهة قصر الخلافة.. دخل على المتوكل.. فرأى الشعراء ينشدون ويربحون.. والمتوكل هو المتوكل.. سطوة وهيبة وجبروت.. فانطلق مادحًا الخليفة بقصيدة مطلعها:

يا أيها الخليفة..

أنت كالكلب في حفاظك للودِّ ... وكالتيس في قراع الخطوب

أنت كالدلو لا عدمتك دلو ... من كبار الدلا كثير الذنوب

ومضى يضرب للخليفة الأمثلة بالتيس والعنز والبئر والتراب.. بعدما كان يُشبه بالشمس والقمر والجبال!!

فثار الخليفة.. وانتفض الحراس.. واستل السياف سيفه.. وفرش النطع..

وتجهز للقتل.. فأدرك الخليفة أن عليًّا بن الجهم قد غلبت عليه طبيعته.

فأراد أن يغيِّرها.. فأمر به فأسكنوه في قصر منيف.. تغدو عليه أجمل الجواري وتروح بما يلذ ويطيب.

ذاق علي بن جهم النعمة.. واتكأ على الأرائك.. وجالس أرق الشعراء.. وأغزل الأدباء.. ومكث على هذا الحال سبعة أشهر. ثم جلس الخليفة مجلس سمر ليلة.. فتذكر علي بن الجهم.. فسأل عنه، فدعوه له. فلما مثل بين يديه.. قال: أنشدني يا علي بن الجهم.. فانطلق منشدًا قصيدة مطلعها:

عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

أعدن لي الشوق القديم ولم أكن ... سلوت ولكن زدن جمرًا على جمر

ومضى يحرك المشاعر بأرق الكلمات.. ثم شرع يصف الخليفة بالشمس والنجم والسيف.

فانظر كيف استطاع الخليفة أن يغيِّر طباع ابن الجهم.. ونحن كم ضايقتنا طباع لأولادنا أو أصدقائنا؛ فهل سعينا لتغييرها.. فغيرناها.

ومن باب أولى أن تقدر أنت على تغيير طباعك.. فتقلب العبوس تبسمًا.. والغضب حلمًا.. والبخل كرمًا.. وهذا ليس صعبًا.. لكنه يحتاج إلى عزيمة ومراس.. فكن بطلًا.

ومن نظر في سيرة محمد ﷺ وجد أنه كان يتعامل مع الناس بقدرات أخلاقية، ملك بها قلوبهم.. ولم يكن ﷺ يتصنع هذه الأخلاق أمام الناس.. فإذا خلا بأهل بيته.. انقلب حلمه غضبًا.. ولينه غلظًا. لا.. ما كان بسامًا مع الناس عبوسًا مع أهل بيته. ولا كريمًا مع الخلق إلا مع ولده وزوجه.

لا.. بل كانت أخلاقه سجية.. يتعبد لله تعالى بها.. كما يتعبد بصلاة

الضحى وقيام الليل.. يحتسب ابتسامته قربة.. ورفقه عبادة.. وعفوه ولينه حسنات.

إن من اعتبر حسن الخلق عبادة.. تحلى بها في جميع أحواله.. في سلمه وحربه وجوعه وشبعه.. وصحته ومرضه.. بل وفرحه وحزنه.

نعم.. كم من الزوجات تسمع عن أخلاق زوجها.. وسعة صدره.. وابتسامته وكرمه.. ولكنها لم تر من ذلك شيئًا.. في بيته سيئ الخلق.. ضيق الصدر.. عابس الوجه.. صخاب لعان.. بخيل ومنان، أما هو ﷺ؛ فهو الذي قال: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**».(١)

وانظر كيف كان يتعامل مع أهله.. قال الأسود بن يزيد: سألت عائشة - رضي الله عنها- ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته؟

فقالت: يكون في مهنة أهله.. فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج للصلاة.

وقل مثل ذلك مع الوالدين.

فكم هم أولئك الذين نسمع عن حسن أخلاقهم.. وكرمهم وتبسمهم.. وجميل معاشرتهم للآخرين.. أما مع أقرب الناس إليهم.. وأعظم الناس حقًّا عليهم.. مع الوالدين والزوجة والأولاد؛ فجفاء وهجر.

نعم.. خيركم خيركم لأهله.. لوالديه.. لزوجه.. لخدمه.. بل ولأطفاله.

في يوم مليء بالمشاعر.. يجلس أبو ليلى ﷺ عند رسول الله ﷺ.. فيأتي الحسن أو الحسين يمشي إلى النبيِّ ﷺ.. فيأخذه ﷺ.. فيقعده على بطنه.. فبال

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه (صحيح).

الصغير على بطن رسول الله ﷺ.

قال أبو ليلى: حتى رأيت بوله على بطن رسول الله ﷺ أساريع. **قال:** فوثبنا إليه.. فقال ﷺ: «**دعوا ابني.. لا تفزعوا ابني..**». فلما فرغ الصغير من بوله.. دعا ﷺ بماء فصبه عليه.[1]

فلله دره كيف تروضت نفسه على هذه الأخلاق.. فلا عجب إذن أن يملك قلوب الصغار والكبار..

رأي

بدل أن تسبَّ الظلام..

حاول إصلاح المصباح.

(١) رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات.

مع الفقراء

عدد من الناس اليوم أخلاقهم تجارية.. فالغني فقط هو الذي تكون نكته طريفة، فيضحكون عند سماعها..وأخطاؤه صغيرة.. فيتغاضون عنها.

أما الفقراء فنكتهم ثقيلة.. يسخر بهم عند سماعها.. وأخطاؤهم جسيمة.. يصرخ بهم عند وقوعها، أما رسول الله ﷺ؛ فكان عطفه على الغني والفقير سواء.

قال أنس رضي الله عنه: كان رجل من أهل البادية اسمه زاهر بن حرام.. وكان ربما جاء المدينة في حاجة فيهدي للنبي ﷺ من البادية شيئًا من أقط أو سمن.. فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج إلى أهله بشيء من تمر ونحوه.

وكان النبي ﷺ يحبه.. وكان يقول: «**إن زاهرًا باديتنا.. ونحن حاضروه**».. وكان زاهرًا دميمًا.

خرج زاهر رضي الله عنه يومًا من باديته.. فأتى بيت رسول الله ﷺ.. فلم يجده.. وكان معه متاع فذهب به إلى السوق. فلما علم به النبي ﷺ مضى إلى السوق يبحث عنه.. فأتاه فإذا هو يبيع متاعه.. والعرق يتصبب منه.. وثيابه ثياب أهل البادية بشكلها ورائحتها.

فاحتضنه ﷺ من ورائه، وزاهر لا يبصره.. ولا يدري من أمسكه. **ففزع زاهر وقال**: أرسلني.. من هذا؟

فسكت النبي ﷺ.

فحاول زاهر أن يتخلص من القبضة.. وجعل يلتفت وراءه.. فرأى النبي ﷺ فاطمأنت نفسه.. وسكن فزعه. وصار يُلصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين

عرفه.. فجعل النبي ﷺ يمازح زاهرًا.. ويصيح بالناس يقول: «**من يشتري العبد؟**».. «**من يشتري العبد؟**».

فنظر زاهر في حاله.. فإذا هو فقير كسير.. لا مال.. ولا جمال.. **فقال:** إذًا والله تجدني كاسدًا يا رسول الله.

فقال ﷺ: «**لكنك عند الله لست بكاسد.. أنت عند الله غالٍ**».

فلا عجب أن تتعلق قلوب الفقراء به ﷺ، وهو يملكهم بهذه الأخلاق.

كثير من الفقراء.. قد لا يعيب على الأغنياء البخل عليه بالمال والطعام.. لكنه يجد عليهم بخلهم باللطف وحسن المعاشرة.

وكم من فقير تبسمت في وجهه.. وأشعرته بقيمته واحترامه.. فرفع في ظلمة الليل يدًا داعية.. يستنزل بها لك الرحمات من السماء.

«**رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لاَ يُؤْبَهُ لَهُ.. لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ**»..

فكنْ دائم البشر مع هؤلاء الضعفاء..

إشارة

لعل ابتسامة في وجه فقير..

ترفعك عند الله درجات...

النســـــاء

كان جدي يستشهد بمثل قديم: «**من غاب عن عنزه جابت تيس**».. بمعنى أن من لم تجد زوجته عنده ما يشبع عاطفتها.. ويروي نفسها.. فقد تحدثها نفسها بالاستجابة لغيره.. ممن يملك معسول الكلام.

وليس مقصودهم بهذا المثل تشبيه الرجل والمرأة بالتيس والعنزة – معاذ الله– المرأة شقيقة الرجل.. ولئن كان الله قد وهب الرجل جسمًا قويًّا.. فقد وهبها عاطفة قوية.. وكم رأينا سلاطين الرجال وشجعانهم تخور قواهم عند قوة عاطفة امرأة.. ومن مهارات التعامل مع المرأة أن تعرف المفتاح الذي تؤثر من خلاله فيها– العاطفة– فتقاتلها بسلاحها.

كان النبيُّ ﷺ يوصيك بالإحسان إلى المرأة.. واحترام عاطفتها.. لأجل أن تسعد معها.. وأوصى الأب بالإحسان إلى بناته.. فقال: «**من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه**»(١). وأوصى بها أولادها فإنه لما سأله رجل فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ **قال**: «**أمك.. ثم أمك.. ثم أمك..**». بل أوصى ﷺ بالمرأة زوجها.. وذمَّ من غاضب زوجته أو أساء إليها.

وانظر إليه ﷺ وقد قام في حجة الوداع، فإذا بين يديه مائة ألف حاج فيهم الأسود والأبيض.. والكبير والصغير.. والغني والفقير.

صاح ﷺ بهؤلاء جميعًا، وقال لهم: «**ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، ألا واستوصوا بالنساء خيرًا**»(٢).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم والترمذي.

وفي يوم من الأيام طاف بأزواج رسول الله ﷺ نساء كثير يشتكين أزواجهن.. فلما علم النبيُّ ﷺ بذلك قام وقال للناس: «**لقد طاف بآل محمد ﷺ نساء كثير يشتكين أزواجهن.. ليس أولائك بخياركم**».[1]

وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[2].

بل.. قد بلغ من إكرام الدين للمرأة.. أنها كانت تقوم الحروب.. وتسحق الجماجم.. وتتطاير الرءوس.. لأجل عرض امرأة واحدة.

كان اليهود يساكنون المسلمين في المدينة.. وكان يغيظهم نزول الأمر بالحجاب.. وتستر المسلمات.. ويحاولون أن يزرعوا الفساد والتكشف في صفوف المسلمات.. فما استطاعوا.

وفي أحد الأيام جاءت امرأة مسلمة إلى سوق يهود بني قينقاع.. وكانت عفيفة متسترة.. فجلست إلى صائغ هناك منهم. فاغتاظ اليهود من تسترها وعفتها.. وودوا لو يتلذذون بالنظر إلى وجهها.. أو لمسها والعبث بها.. كما كانوا يفعلون ذلك قبل إكرامها بالإسلام.

فجعلوا يريدونها على كشف وجهها.. ويغرونها لتنزع حجابها.. فأبت وتمنعت.. فغافلها الصائغ وهي جالسة، وأخذ طرف ثوبها من الأسفل وربطه إلى طرف خمارها المتدلي على ظهرها.. فلما قامت.. ارتفع ثوبها من ورائها.. وتكشفت أعضاؤها...

فضحك اليهود منها.. فصاحت المسلمة العفيفة.. وودت لو قتلوها، ولم يكشفوا عورتها.

---

(١) رواه أبو داود (صحيح).

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه (صحيح).

فلما رأى ذلك رجل من المسلمين.. سلَّ سيفه.. ووثب على الصائغ فقتله.. فشدَّ اليهود على المسلم فقتلوه. فلما علم النبي ﷺ بذلك.. وأن اليهود قد نقضوا العهد، وتعرضوا للمسلمات.. حاصرهم.. حتى استسلموا ونزلوا على حكمه.

فلما أراد النبيُّ ﷺ أن ينكل بهم.. ويثأر لعرض المسلمة العفيفة.. قام إليه جندي من جند الشيطان.. الذين لا يهمهم عرض المسلمات.. ولا صيانة المكرمات.. وإنما هَمُّ أحدهم متعة بطنه وفرجه. قام رأس المنافقين.. عبد الله بن أبي بن سلول.. فقال: يا محمد أحسن في موالي اليهود. وكانوا أنصاره في الجاهلية- فأعرض عنه النبيُّ ﷺ وأبى.. إذ كيف يطلب العفو عن أقوام يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا!!

فقام المنافق مرة أخرى، وقال: يا محمد أحسن إليهم.. فأعرض عنه النبيُّ ﷺ صيانةً لعرض المسلمات وغيرةً على العفيفات. فغضب ذلك المنافق.. وأدخل يده في جيب درع النبيِّ ﷺ.. وجره وهو يردد: أحسن إلى موالي.. أحسن إلى موالي.. فغضب النبيُّ ﷺ، والتفت إليه، وصاح به وقال: «**أرسلني**».. فأبى المنافق.. وأخذ يناشد النبي ﷺ العدول عن قتلهم.

فالتفت إليه النبيُّ ﷺ وقال: «**هم لك**».. ثم عدل عن قتلهم.. لكنه ﷺ أخرجهم من المدينة.. وطردهم من ديارهم. نعم.. المرأة العفيفة تستحق أكثر من ذلك.

كانت خولة بنت ثعلبة من الصحابيات الصالحات.. وكان زوجها أوس بن الصامت شيخًا كبيرًا يسرع إليه الغضب.. دخل عليها يومًا راجعًا من مجلس قومه.. فكلمها في شيء فردت عليه.. فتخاصما. فغضب وقال: أنت

عليَّ كظهر أمي.. وخرج غاضبًا. كانت هذه الكلمة في الجاهلية إذا قالها الرجل لزوجته صارت طلاقًا.. أما في الإسلام فلا تعلم خولة حكمها.

رجع أوس إلى بيته.. فإذا امرأته تتباعد عنه.. وقالت له: والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليَّ، وقد قلت ما قلت.. حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه. ثم خرجت خولة إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ما تلقى من زوجها.. وجعلت تشكو إليه ما تلقى من زوجها وسوء خلقه معها.

فجعل رسول الله ﷺ يصبرها ويقول: «**يا خويلة ابن عمك.. شيخ كبير.. فاتقي الله فيه**».. وهي تدافع عبراتها وتقول: يا رسول الله.. أكل شبابي.. ونثرت له بطني.. حتى إذا كبرت سني.. وانقطع ولدي.. ظاهر مني.. اللهم إني أشكو إليك. وهو ﷺ ينتظر أن ينزل الله تعالى فيهما حكمًا من عنده.

فبينما خولة عند رسول الله ﷺ؛ إذ هبط جبريل عليه السلام من السماء على رسول الله ﷺ بقرآن فيه حكمها وحكم زوجها.

فالتفت ﷺ إليها وقال: «**يا خويلة.. قد أنزل فيك وفي صاحبك قرآنًا.. ثم قرأ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ..﴾** إلى آخر الآيات من أول سورة المجادلة.

ثم قال لها ﷺ: «**مُريه فليعتق رقبة**». **فقالت**: يا رسول الله.. ما عنده ما يعتق. **قال**: «**فليصم شهرين متتابعين**». **قالت**: والله إنه لشيخ كبير ما له من صيام. **قال**: «**فليطعم ستين مسكينًا وسقا من تمر**». قالت: يا رسول الله.. ما ذاك عنده. **فقال** ﷺ: «**فإنا سنعينه بعرق من تمر**». **قالت**: والله يا رسول الله.. أنا سأعينه بعرق آخر. **فقال** ﷺ: «**قد أصبت وأحسنت.. فاذهبي فتصدقي به**

عنه.. ثم استوصي بابن عمك خيرًا»[1].

فسبحان من وهبه اللين والتحمل مع الجميع.. حتى مشاكلهم الشخصية.. يتفاعل معهم.

وقد جربت بنفسي.. التعامل باللين والمهارات العاطفية مع البنت والزوجة.. وقبل ذلك الأم والأخت.. فوجدت لها من التأثير الكبير.. ما لا يتصوره إلا من مارسه.. فالمرأة لا يكرمها إلا كريم، ولا يهينها إلا لئيم.

وقفة

قد تصبر المرأة على فقر زوجها.. وقبحه.. وانشغاله لكنها قل أن تصبر على سوء خلقه.

(١) رواه أحمد وأبو داود، صحيح.

الصِّغـــــار

كم هي المواقف التي وقعت لنا في صغرنا ولا تزال مطبوعة في أذهاننا إلى اليوم.. سواء كانت مفرحة أو محزنة.

عُد بذاكرتك إلى أيام طفولتك.. ستتذكر لا محالة جائزة كرمت بها في مدرستك.. أو ثناء أثناه عليك أحد في مجلس عام.. فهي مواقف تحفر صورتها في الذاكرة.. فلا تكاد تنسى.

وإلى جانب ذلك.. لا نزال نتذكر مواقف محزنة.. وقعت لنا في طفولتنا.. مدرس ضربنا.. أو خصومة مع زملاء في المدرسة.. أو مواقف تعرضنا فيها للإهانة من أسرتنا.. أو تعرض لها أحدنا من زوجة أبيه.. أو نحو ذلك. وكم صار الإحسان إلى الصِّغار طريقًا إلى التأثير ليس فيهم فقط.. بل في آبائهم وأهليهم.. وكسب محبتهم جميعًا.

يتكرر كثيرًا لمدرس المرحلة الابتدائية أن يتصل به أحد أبوي طالب صغير ويثني عليه وأنه أحبه لمحبة ولده له وكثرة ذكره بالخير.. وقد يعبرون عن هذه المشاعر في لقاء عابر.. أو هدية أو رسالة.

إذن لا تحتقر الابتسامة في وجه الصغير.. وكسب قلبه.. وممارسة مهارات التعامل الرائع معه.

ألقيت يومًا محاضرة عن الصلاة لطلاب صغار في مدرسة.. فسألتهم عن حديث حول أهمية الصلاة.. فأجاب أحدهم: قال ﷺ: «**بين الرجل وبين الكفر أو الشرك ترك الصلاة**».

أعجبني جوابه.. ومن شدة الحماس نزعت ساعة يدي وأعطيته إياها..

وكانت عمومًا ساعة عادية كساعات الطبقة الكادحة..! كان هذا الموقف مشجعًا لذلك الغلام.. أحب العلم أكثر.. وتوجه لحفظ القرآن.. وشعر بقيمته.

مضت الأيام.. بل السنون.. ثم في أحد المساجد تفاجأت.

إن الإمام هو ذلك الغلام.. وقد صار شابًّا متخرجًا من كلية الشريعة.. ويعمل في سلك القضاء بأحد المحاكم.. لم أذكره وإنما تذكرني هو.

فانظر كيف انطبعت في ذهنه المحبة والتقدير بموقف عاشه قبل سنين..

وأذكر أني دعيت ليلة لإحدى الولائم.. فإذا شاب مشرق الوجه يسلِّم عليَّ بحرارة، ويذكرني بموقف لطيف وقع له معي في محاضرة ألقيتها في مدرسته لما كان غلامًا صغيرًا.

وكم ترى من الناس الذين يحسنون التعامل مع الصغار من يخرج من المسجد.. فترى أبا يجره ولده الصغير بيده ليصل إلى هذا الرجل فيسلم عليه، ويبلغه بمحبة ولده له.

وقد يقع مثل هذا الموقف في وليمة كبيرة أو عرس.. يكثر فيه المدعوون.. ولا أكتمك أنني أبالغ في إكرام الصغار والحفاوة بهم بعض الشيء.. بل والاستماع إلى أحاديثهم العذبة – وإن كانت في أكثر الأحيان غير مهمة – بل أزيد الحفاوة ببعضهم أحيانًا إكرامًا لوالده وكسبًا لمحبته.

أحد الأصدقاء كنت ألقاه أحيانًا مع ولده الصغير.. كنت أحتفي بالصغير وألاطفه.. لقيني صديقي هذا يومًا في محفل كبير.. فأقبل إليَّ بولده يسلم عليَّ.. ثم قال: ماذا فعلت بولدي!

يسألهم مدرسهم قبل أيام عن أمنياتهم في المستقبل. فمنهم من قال: أكون

طبيبًا.. والآخر قال: أكون مهندسًا. **وولدي قال:** أكون محمد العريفي!!

ويمكنك أن تلاحظ أنواع الناس في التعامل مع الصغار.. عندما يدخل رجل إلى مجلس عام، ويطوف بالحاضرين مصافحًا.. وولده من خلفه يفعل كفعله.. فمن الناس من يتغافل عن الصغير.. ومنهم من يصافحه بطرف يده.

ومنهم من يهزُّ يده مبتسمًا مرددًا: أهلًا يا بطل.. كيف حالك يا شاطر.. هذا الذي تنطبع محبته في قلب الصغير.. بل وقلب أبيه وأمه.

كان المربي الأول ﷺ له أحسن التعامل مع الصغار. كان لأنس بن مالك ﷺ أخ صغير.. وكان ﷺ يمازحه ويكنيه بـ «أبي عمير».. وكان للصغير طير صغير يلعب به.. فمات الطير.

فكان ﷺ يمازحه إذا لقيه.. ويقول: «**يا أبا عمير.. ما فعل النغير؟**» يعني: الطائر الصغير.. وكان يعطف على الصغار ويلاعبهم. ويلاعب زينب بنت أم سلمة ويقول: «**يا زوينب.. يا زوينب**». وكان إذا مرَّ بصبيان يلعبون سلَّم عليهم.. وكان يزور الأنصار، ويسلم على صبيانهم.. ويمسح رءوسهم.

وعند رجوعه ﷺ من المعركة كان يستقبله الأطفال فيركبهم معه.. فعند عودة المسلمين من مؤتة.. أقبل الجيش إلى المدينة راجعًا.. فتلقاهم النبي -عليه الصلاة والسلام- والمسلمون.. ولقيهم الصبيان يشتدون، فلما رأى ﷺ الصبيان، قال: «**خذوا الصبيان فاحملوهم.. وأعطوني ابن جعفر**».

فأتي بعبد الله بن جعفر فأخذه فحمله بين يديه.

وكان ﷺ يتوضأ يومًا من ماء.. فأقبل إليه محمود بن الربيع طفل عمره خمس سنوات.. فجعل ﷺ في فمه ماء ثم مجه في وجهه يمازحه[1].

---

(١) رواه البخاري.

وعمومًا.. كان ﷺ ضحوكًا مزوحًا مع الناس.. يدخل السرور إلى قلوبهم.. خفيفًا على النفوس لا يمل أحد من مجالسته.

أقبل إليه رجل يومًا يريد دابة ليسافر عليها أو يغزو.. فقال ﷺ ممازحًا له: «**إني حاملك على ولد ناقة**».. فعجب الرجل.. كيف يركب على جمل صغير.. لا يستطيع حمله.. فقال: يا رسول الله، وما أصنع بولد الناقة؟ **فقال** ﷺ: «**وهل تلد الإبل إلا النوق**»..

يعني سأعطيك بعيرًا كبيرًا.. لكنه – قطعًا – قد ولدته ناقة.

وقال ﷺ يومًا لأنس ممازحًا: «**يا ذا الأذنين**». وأقبلت إليه امرأة يومًا تشتكي زوجها.. فقال لها ﷺ: «**زوجك الذي في عينه بياض**».. ففزعت المرأة وظنت أنه زوجها عمي بصره.. كما قال الله عن يعقوب عليه السلام: ﴿**وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ**﴾ أي: عمي..

فرجعت فزعة إلى زوجها، وجعلت تنظر في عينيه.. وتدقق.. فسألها عن خبرها؟!

فقالت: قد قال رسول الله ﷺ: إن في عينك بياضًا. **فقال لها**: يا امرأة.. أما أخبرك أن بياضها أكثر من سوادها.. أي أن كل أحد في عينه بياض وسواد.

وكان ﷺ إذا مازحه أحد تفاعل معه.. وضحك وتبسم.

دخل عليه عمر وهو ﷺ غضبان على نسائه.. لما أكثرن عليه مطالبته بالنفقة..

فقال عمر: يا رسول الله! لو رأيتنا وكنا معشر قريش نغلب النساء.. فكنا إذا سألت أحدنا امرأته نفقة قام إليها فوجأ عنقها..

فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم.. فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم.. يعني: فقويت علينا نساؤنا.

فتبسم النبي ﷺ.. ثم زاد عمر الكلام.. فازداد تبسم النبي ﷺ تلطفًا مع عمر رضي الله عنه.

وتقرأ في أحاديث أنه تبسم حتى بدت نواجذه.. إذن كان لطيف المعشر.. أنيس المجلس.

فلو وطَّنا أنفسنا على مثل هذا التعامل مع الناس.. لشعرنا بطعم الحياة فعلًا.

فكرة

الطفل طينة لينة نشكلها

بحسب تعاملنا معه.

المماليك والخدم

كان ﷺ يحسن الدخول إلى قلوبهم بما يناسب.

لما توفي عم النبي ﷺ اشتد أذى قريش عليه ﷺ فخرج ﷺ إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى.. خرج إليهم وحده. وصل إلى الطائف.. وعمد إلى نفر ثلاثة من ثقيف وهم سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل، ومسعود، وحبيب، بنو عمرو بن عمير.

فجلس إليهم ﷺ فدعاهم إلى الله، وكلمهم لما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه.. فردوا عليه ردًّا قبيحًا.

فقال أحدهم: هو يَمْرُط ثياب الكعبة (أي: يمزقها) إن كان الله أرسلك.

وقال الآخر: أما وجد الله أحدًا أرسله غيرك؟

أما الثالث فقال متفلسفًا: والله لا أكلمك أبدًا! لئن كنت رسولًا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام.. ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك.

فلما سمع ﷺ منهم هذا الرد القبيح.. قام من عندهم.. وقد يئس من خير ثقيف.. لكنه خاف أن تعلم قريش بخبر ثقيف معه فيجترئون عليه أكثر.

فقال لهم: «**إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليَّ**».. فلم يفعلوا.. وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به.

حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة.. وشيبة بن ربيعة.. وهما فيه.. ورجع عنه من سفهاء ثقيف ممن كان يتبعه.

فعمد ﷺ إلى ظلِّ حبلة من عنب فجلس فيه.. وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف، فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما. فدعوا غلامًا لهما نصرانيًّا يقال له: «عداس».. وقالا له: خذ قطفًا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق.. ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه.

ففعل عداس.. وجاء بالعنب: حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له: كُلْ.. فمدَّ رسول الله ﷺ يده إليه وقال: «**بسم الله**»، ثم أكل.

نظر عداس إليه وقال: والله هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد.

فقال له ﷺ: «**ومن أهل أي بلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟**»، **قال**: نصراني.. وأنا رجل من أهل نينوى، **فقال ﷺ**: «**من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟**»، **فقال عداس**: وما يدريك ما يونس بن متى؟

فقال ﷺ «**ذلك أخي.. كان نبيًّا.. وأنا نبيٌّ**».. فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبِّل رأسه ويديه وقدميه.. وابنا ربيعة ينظران إليهما.. فقال أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك.. فلما رجع عداس لسيده.. وبدا عليه التأثر برؤية رسول الله ﷺ وسماع كلامه.

قال له سيده: ويلك يا عداس! ما لك تقبِّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ **فقال**: يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا.. لقد أخبرني بأمر ما يعمله إلا نبي، **فقال سيده**: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك.. فإن دينك خير من دينه. فهل نستطيع نحن اليوم أن نجعل تعاملنا راقيًا مع الجميع.. مهما كانت طبقاتهم؟

لمحة

عامل البشر على أنهم بشر.. لا على أشكالهم.. وأموالهم.. أو وظائفهم.

مـــع المخالفـــين

الكفار.. كان ﷺ يعاملهم بالعدل.. ويستميت في سبيل دعوتهم وإصلاحهم.. ويتحمل أذاهم.. ويتغاضى عن سوئهم.

كيف لا.. وقد قال له ربه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً..﴾.

لمن؟! للمؤمنين؟! لا.. ﴿إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

وتأمل حال اليهود.. يذمونه ويبتدئون بالعداوة.. ومع ذلك يرفق بهم.

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: إن اليهود مروا ببيت النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم (أي: الموت عليك).

فقال ﷺ: «**وعليكم**». فلم تصبر عائشة لما سمعتهم.. فقالت: السام عليكم.. ولعنكم الله وغضب عليكم. **فقال** ﷺ: «**مهلًا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش**». **فقالت**: أولم تسمع ما قالوا؟ **فقال**: «**أولم تسمعي ما قلت؟! رددت عليهم فيستجاب لي.. ولا يستجاب لهم في**».

نعم.. ما الداعي إلى مقابلة السباب بالسباب! أليس الله قد قال له: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

وفي يوم خرج ﷺ مع أصحابه في غزوة.. فلما كانوا في طريق عودتهم.. نزلوا في واد كثير الشجر.. فتفرق الصحابة تحت الشجر وناموا.. وأقبل ﷺ إلى شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها وفرش رداءه ونام. في هذه الأثناء كان رجل من المشركين يتبعهم.. فلما رأى رسول الله ﷺ خاليًا.. أقبل يمشي بهدوء.. حتى التقط السيف من على الغصن. وصاح بأعلى صوته: يا محمد.. من يمنعك مني؟ فاستيقظ رسول الله ﷺ.. والرجل قائم على رأسه. والسيف

في يده.. يلتمع منه الموت.. كان الرسول ﷺ وحيدًا.. ليس عليه إلا إزار.. أصحابه متفرقون عنه.. نائمون.. والرجل يعيش نشوة القوة والانتصار.

ويردد: من يمنعك مني؟ من يمنعك مني؟ **فقال ﷺ بكلِّ ثقة:** «**الله**». فانتفض الرجل وسقط السيف. فقام ﷺ والتقط السيف وقال: «**من يمنعك مني؟**». فتغيَّر الرجل.. واضطرب.. وأخذ يسترحم النبي ﷺ.. ويقول: لا أحد.. كن خير آخذ. **فقال له ﷺ:** «**تسلم؟**».

قال: لا.. ولكن لا أكون في قوم هم حرب لك.. فعفا عنه ﷺ وأحسن إليه!! وكان الرجل ملكًا في قومه.. فانصرف إليهم فدعاهم إلى الإسلام.. فأسلموا.

نعم.. أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم.. بل حتى مع الأعداء الألداء كان ﷺ له خلق عظيم.. كسب به نفوسهم.. وهدى قلوبهم.. ودحر به كفرهم.

لما ظهر ﷺ بدعوته بين الناس جعلت قريش تحاول حربه بكلِّ سبيل.. وكان مما بذلته أن تشاور كبارها في التعامل مع دعوته ﷺ وتسارع الناس للإيمان به.

فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر؛ فليأت هذا الرجل الذي فرَّق جماعتنا.. وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه.

فقالوا: ما نعلم أحدًا غير عتبة بن ربيعة. **فقالوا:** أنت يا أبا الوليد.. وكان عتبة سيدًا حليمًا. **فقال:** يا معشر قريش.. أترون أن أقوم إلى هذا فأكلمه.. فأعرض عليه أمورًا لعله أن يقبل منها بعضها. **قالوا:** نعم يا أبا الوليد.

فقام عتبة وتوجه إلى رسول الله ﷺ.. دخل عليه.. فإذا هو ﷺ جالس

بكلِّ سكينة.. فلما وقف عتبة بين يديه.. قال: يا محمد! أنت خير أم عبد الله؟!

فسكت رسول الله ﷺ.. تأدبًا مع أبيه عبد الله. **فقال:** أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت ﷺ.. تأدبًا مع جده عبد المطلب. **فقال عتبة:** فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك؛ فقد عبدوا الآلهة التي عبت.. وإن كنت تزعم أنك خير منهم.. فتكلم حتى نسمع قولك. وقبل أن يجيب النبي ﷺ بكلمة.. ثار عتبة وقال:

إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومه منك!!.. فرَّقت جماعتنا.. وشتت أمرنا.. وعبت ديننا.. وفضحتنا في العرب.. حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرًا.. وأن في قريش كاهنًا.. والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى.. أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى.

كان عتبة متغيرًا غضبان.. والنبيُّ ﷺ ساكت يستمع بكلِّ أدب، وبدأ عتبة يقدِّم إغراءات ليتخلى النبي ﷺ عن الدعوة.

فقال: أيها الرجل.. إن كنت جئت بالذي جئت به لأجل المال.. جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلًا. وإن كنت إنما بك حب الرئاسة.. عقدنا ألويتنا لك فكنت رأسًا ما بقيت.. وإن كان إنما بك الباه والرغبة في النساء.. فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرًا..!!

وإن كان هذا الذي يأتيك رِئيًا من الجن تراه.. لا تستطيع رده عن نفسك.. طلبنا لك الطب.. وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه.. فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يتداوى منه.

ومضى عتبة يتكلم بهذا الأسلوب السيئ مع رسول الله ﷺ، ويعرض عليه عروضًا ويغريه.. والنبي عليه الصلاة والسلام ينصت إليه بكلِّ هدوءٍ،

وانتهت العروض.. مُلك.. مال.. نساء.. علاج من جنون!!

سكت عتبة.. وهدأ.. ينتظر الجواب.. فرفع النبيُّ -عليه الصلاة والسلام- بصره إليه، وقال بكلِّ هدوءٍ: «**أفرغت يا أبا الوليد؟**»..

لم يستغرب عتبة هذا الأدب من الصادق الأمين.. بل قال باختصار: نعم.

فقال ﷺ: «**فاسمع مني**». **قال**: أفعل. **فقال** ﷺ: «**بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حم ۞ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾**. ومضى النبيُّ -عليه الصلاة والسلام.. يتلو الآيات وعتبة يستمع.. وفجأة جلس عتبة على الأرض.. ثم اهتز جسمه.. فألقى يديه خلف ظهره.. واتكأ عليهما.. وهو يستمع.. ويستمع.

والنبيُّ يتلو.. ويتلو.. حتى بلغ قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾. فانتفض عتبة لما سمع التهديد بالعذاب.. وقفز ووضع يديه على فم رسول الله ﷺ.. ليوقف القراءة. فاستمر ﷺ يتلو الآيات.. حتى انتهى إلى الآية التي فيها سجدة التلاوة.. فسجد.

ثم رفع رأسه من سجوده.. ونظر إلى عتبة وقال: «**سمعت يا أبا الوليد؟**».

قال: نعم. **قال**: «**فأنت وذاك**». فقام عتبة يمشي إلى أصحابه.. وهُمْ ينتظرونه متشوقين.

فلما أقبل عليهم.. قال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم.. قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

فقال: ورائي أني والله سمعت قولًا ما سمعت مثله قط.. والله ما هو

بالشعر.. ولا السحر.. ولا الكهانة.

يا معشر قريش.. أطيعوني واجعلوها بي.. خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه.. فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم.. يا قوم!!

قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حم ۞ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ حتى بلغ: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ فأمسكته بفيه.. وناشدته الرحم أن يكف.. وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب.. فخفت أن ينزل بكم العذاب.

ثم سكت أبو الوليد قليلًا متفكرًا.. وقومه واجمون يحدون النظر إليه.. فقال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، وما يقول هذا بشر.. ما يقول هذا بشر.

قالوا: هذا شعر يا أبا الوليد.. شعر.

فقال: والله ما رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئًا من هذا.

ومضى عتبة يناقش قومه في أمر رسول الله ﷺ صحيح أن عتبة لم يدخل في الإسلام لكن نفسه لانت للدين.

فتأمل كيف أثر هذا الخلق الرفيع.. ومهارة حسن الاستماع في عتبة مع أنه من أشد الأعداء.

وفي يوم آخر.. تجتمع قريش فينتدبون حصين بن المنذر الخزاعي- وهو أبو الصحابي الجليل عمران بن حصين- ينتدبونه لنقاش النبي -عليه الصلاة والسلام- ورده عن دعوته.

يدخل أبو عمران على النبيِّ ﷺ وحوله أصحابه.. فيردد عليه ما تردده قريش دومًا.. فرَّقت جماعتنا. شتت شملنا.. والنبيُّ ﷺ ينصت بلطف.. حتى إذا انتهى.. قال له ﷺ بكلِّ أدب: «**أفرغت يا أبا عمران؟**».

قال: نعم. **قال:** «**فأجبني عما أسألك عنه**». **قال:** قل أسمع. **فقال** ﷺ: «**يا أبا عمران أكم إلهًا تعبد اليوم؟**». **قال:** سبعة..!! ستة في الأرض.. وواحدًا في السماء..!! **قال:** «**فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟**». **قال:** الذي في السماء. **فقال** ﷺ **بكلِّ لطف:** «**يا حصين، أما إنك لو أسلمت علَّمتك كلمتين ينفعانك**».

فما كان من حصين إلا أن أسلم في مكانه فورًا. ثم قال: يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني..

فقال ﷺ: «**قل: اللهم ألهمني رشدي.. وأعذني من شر نفسي**».

آآآه ما أروع هذا التعامل الراقي! وشدة تأثيره في الناس عند مخالطتهم.. وهذا التعامل الإسلامي الدعوي يفيد في دعوة الكفار وجذبهم إلى الخير.

سافر أحد الشباب للدراسة في ألمانيا فسكن في شقة.. وكان يسكن أمامه شاب ألماني، ليس بينهما علاقة، لكنه جاره.

سافر الألماني فجأة.. وكان موزع الجرائد يضع الجريدة كل يوم عند بابه.. انتبه صاحبنا لكثرة الجرائد.. سأل عن جاره.. فعلم أنه مسافر.. جمع الجرائد ووضعها في درج خاص.. وصار يجمعها كل يوم ويرتبها.

لما رجع صاحبه بعد شهرين أو ثلاثة.. سلَّم عليه، وهنأه بسلامة الرجوع.. ثم ناوله الجرائد.

وقال له: خشيت أنك متابع لمقال.. أو مشترك في مسابقة.. فأردت ألا يفوتك ذلك.

نظر الجار إليه متعجبًا من هذا الحرص.. وقال: هل تريد أجرًا أو مكافأة على هذا؟

قال صاحبنا: لا.. لكن ديننا يأمرنا بالإحسان إلى الجار.. وأنت جار فلا بدَّ من الإحسان إليك.

ثم ما زال صاحبنا محسنًا إلى ذلك الجار.. حتى دخل في الإسلام..

هذه والله هي المتعة الحقيقية بالحياة.. أن تشعر أنك رقم على اليمين.. لك بصمتك في الحياة.. تتعبد لله بكلِّ شيءٍ حتى بأخلاقك.

وكم صدَّ أعدادًا كبيرة من الكفار عن الدخول في الإسلام تعاملات فريق من المسلمين معهم.. فيظلمونهم عمالًا.. ويغشونهم متسوقين.. ويؤذونهم جيرانًا.

فهلم نبدأ من جديد معهم.

إضاءة

خير الداعين من يدعو بأفعاله قبل أقواله.

الحيوانـــــات!!

مَنْ صارت المهارات الحسنة ديدنه.. تحولت إلى طبع يخالط دمه وعقله.. لا ينفك عنه أبدًا.. فتجده دائمًا لينًا هينًا رفيقًا متحملًا عطوفًا.. مع كل أحد.. حتى مع الحيوانات.. والجمادات.

كان رسول الله ﷺ في سفر.. فانطلق ليقضي حاجته.. فرأى بعض الصحابة حمرة معها فرخان.. فأخذ بعضهم فرخيها.

فجاءت الحمرة.. فجعلت تحوم حولهم وترفرف بجناحيها.. فلما جاء النبي ﷺ ورآها.. التفت إلى أصحابه وقال: «**من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها**».

وفي يوم آخر.. رأى ﷺ قرية نمل قد أحرقت.. فقال: «**من أحرق هذه؟**». **قال بعض أصحابه:** أنا. **فغضب وقال:** «**لا ينبغي أن يُعذب بالنار إلا رب النار**».

وكان ﷺ من رأفته.. أن إذا توضأ وأقبلت إليه هرة.. أصغى لها الإناء.. فتشرب.. ثم يتوضأ بفضلها.

ومرَّ ﷺ يومًا على رجل ملقيًا شاة على الأرض.. وقد وضع رجله على صفحة عنقها ممسكًا لها ليذبحها.. وهو يحد شفرته.. وهي تلحظ إليه ببصرها.

فغضب ﷺ لما رآه.. وقال: «**أتريد أن تميتها موتتين؟ هلا حددت شفرتك قبل أن تضجعها؟**».

ومرَّ يومًا برجلين يتحدثان.. وقد ركب كل منهما على بعيره.. فلما رآهما رحم البعيرين.. ونهى أن تتخذ الدواب كراسي.

يعني لا تركب البعير إلا وقت الحاجة فقط.. فإذا انتهت حاجتك فانزل ودعه يرتاح.. ونهى ﷺ عن وسم الدابة في الوجه.

ومن أطرف ما ذكر.. أنه كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء.. ثم إن نفرًا من المشركين أغاروا على إبل للمسلمين.. كانت ترعى في أطارف المدينة.

فذهبوا بها.. وكانت العضباء فيها.. وأسروا امرأة من المسلمين.. واستاقوها معهم.. وهرب المشركون.. بالمرأة والإبل.. وكانوا إذا نزلوا أثناء الطريق.. أطلقوا الإبل ترعى حولهم.

فنزلوا منزلًا فناموا.. فقامت المرأة بالليل لتهرب منهم.. فأقبلت إلى الإبل لتركب إحداها.

فجعلت كلما أتت على بعير رغا بأعلى صوته.. فتتركه خوفًا من استيقاظهم.. وجعلت تمرُّ على الإبل واحدًا واحدًا.. حتى أتت على العضباء.

فحركتها فإذا ناقة ذلول مجرسة.. فركبتها المرأة.. ثم وجهتها نحو المدينة.. فانطلقت العضباء مسرعة.

فلما شعرت المرأة بالنجاة.. اشتد فرحها.. فقالت: اللهم إن لك عليَّ نذرًا.. إن أنجيتني عليها أن أنحرها..!!

وصلت المرأة إلى المدينة.. فعرف الناس ناقة النبيِّ ﷺ.. نزلت المرأة في بيتها، ومضوا بالناقة إلى النبيِّ ﷺ فجاءت المرأة تطلب الناقة لتنحرها!!

فقال ﷺ: «بئسما جزيتيها.. أو: بئسما جزتها.. إن أنجاها الله عليها لتنحرنها!!».

ثم قال ﷺ: «لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم».

فلماذا لا تحول مهاراتك في التعامل – كالرفق والبشر والكرم – إلى سجية

تلازمك على جميع أحوالك.. مع كلِّ شيء تتعامل معه.. حتى الحيوانات بل والجمادات والأشجار..!!

كان النبيُّ ﷺ يقوم يوم الجمعة.. فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد فيخطب الناس.

فقالت امرأة من الأنصار: يا رسول الله.. ألا أجعل لك شيئًا تقعد عليه.. فإن لي غلامًا نجارًا.

قال: «إن شئت».

فعملت له المنبر.. فلما كان يوم الجمعة.. صعد النبيُّ ﷺ على المنبر الذي صنع له.

فلما قعد ﷺ على ذلك المنبر.. خار الجذع كخوار الثور.. وصاحت النخلة.. حتى كادت تنشق.. وارتج المسجد.

فنزل النبيُّ ﷺ فضمَّ الجذع إليه.. فجعلت النخلة تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت.

ثم قال ﷺ: «أما والذي نفس محمد بيده.. لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة..».

إشارة

الله كرَّم الإنسان

لكن ذلك لا يفتح المجال له

لاضطهاد بقية المخلوقات.

١٠٠ طريقة لكسب قلوب الناس!!

كلُّ صاحب هم يتفنن في صيد ما يريد..

عاشق المال يتفنن في جمعه وتنميته.. ويحرص على تعلم مهارات التجارة والربح، القنوات الفضائية تتفنن في اصطياد الناس بتنويع البرامج واختيار الأساليب المتجددة.. وتدريب مقدمي البرامج على مهارات تجذب الناس لمتابعتها. وقل مثل ذلك في وسائل الإعلام المقروءة.. والمسموعة. ومثله مروجو البضائع المختلفة سواء كانت حلالًا أم حرامًا. كلهم يحرصون على إتقان المهارات التي تفيدهم في مجالهم الذي يحبونه.

وكسب القلوب فن من الفنون له طرقه وأساليبه.. هب أنك دخلت مجلسًا فيه أربعون رجلًا فمررت بالناس تصافحهم.

فالأول.. مددت يدك إليه مسلمًا فناولك طرف يده وقال ببرود: أهلًا.. أهلًا.

والثاني.. كان مشغولًا بحديث جانبي.. ففاجأته بالسلام.. فردَّ ببرود أيضًا، وصافحك دون أن ينظر إليك.

والثالث: كان يتحدث بهاتفه.. فمدَّ يده إليك دون أن يتلفظ بكلمة ترحيب.. أو يبدي لك أي اهتمام.

أما الرابع.. فلما رآك مقبلًا قام مستعدًا للسلام.. فلما التقت عينك بعينه ابتسم وأظهر البشاشة بلقياك، وصافحك بحرارة، واحتفى بقدومك، وأنت لا تعرفه ولا يعرفك!!

ثم أكملت سلامك على الناس وجلست، بالله عليك! ألا تشعر أن قلبك

ينجذب نحو ذلك الشخص؟

بلى.. ينجذب إليه وأنت لا تعرفه ولا تدري اسمه ولا تعلم وظيفته ولا مركزه.. ومع ذلك استطاع أن يسلب قلبك.. لا بماله.. ولا بمنصبه.. ولا بحسبه ونسبه.. وإنما بمهارات تعامله.

إذن القلوب لا تكسب بالقوة ولا بالمال ولا بالجمال ولا بالوظيفة.. وإنما تكسب بأقل من ذلك وأسهل.. ومع ذلك فقليل من يستطيع كسبها.

أذكر أن أحد طلابي في الكلية أصيب بمرض نفسي.. كان نوعًا صعبًا من الاكتئاب.. كان والده ضابطًا يشغل منصبًا عاليًا.. جاء مرارًا إلى الكلية، وقابلني وتعاونا على علاج ابنه.

كنت أذهب إلى بيتهم أحيانًا فأراه قصرًا منيفًا.. وأرى مجلس الأب مليئًا بالضيوف.. لا تكاد تجد فيه مكانًا فارغًا، كنت أعجب من محبة الناس لهذا الرجل وإقبالهم عليه.

مضت سنوات وتقاعد الأب من منصبه.. فذهبت إليه زائرًا.. دخلت القصر.. ثم دلفت إلى المجلس، وفيه أكثر من خمسين كرسيًا.. فلم أر في المجلس إلا الرجل يتابع برنامجًا في التلفاز.. وخادمًا يخدمه بالقهوة والشاي.. جلست معه قليلًا. فلما خرجت جعلت أتذكر حاله لما كان في وظيفته.. وحاله الآن.

ما الذي كان يجمع الناس فيما مضى؟ ما الذي كان يجعلهم يتجمعون عليه مؤانسين متحببين؟!

أدركت عندها أن الرجل لم يكسب الناس بأخلاقه ولطفه وحسنه تعامله.. وإنما كسبهم بمنصبه ووجاهته وسعة علاقاته.. فلما زال المنصب

زالت معه المحبة.

فخذ من صاحبنا درسًا، وتعامل مع الناس بمهارات تجعلهم يحبونك لشخصك.. يحبون أحاديثك وابتسامتك ورفقك وحسن معشرك.. يحبون تغاضيك عن أخطائهم.. ووقوفك معهم في مصائبهم.. لا تجعل قلوبهم معلقة بكرسيك وجيبك!!

الذي يوفر لأولاده وزوجته المال والطعام والشراب لم يكسب قلوبهم.. وإنما كسب بطونهم.. والذي يغدق على أهله الأموال.. مع سوء التعامل.. لم يكسب قلوبهم.. إنما كسب جيوبهم.

لذلك لا تستغرب إذا وجدت شابًّا تقع له مشكلة فيشكوها إلى صديق أو إمام مسجد أو مدرس.. ويترك أباه.. لأن الأب لم يكسب قلبه.. ولم يحطم الأسوار بينهما.. بينما كسب هذا القلب مدرس أو صديق.. وربما كسبه عدو حاقد!!

وأمر آخر مهم.. ألا تلاحظ معي أن بعض الناس إذا دخل مجلسًا مزدحمًا.. وجعل يتلفت باحثًا عن مكان يجلس فيه.. رأيت الجالسين يتسابقون عليه.. كلٌّ يناديه ليجلس بجانبه!!.. لماذا؟

هل دعيت يومًا إلى عشاء.. وكان بنظام (البوفيه المفتوح).. بحيث إن كل شخص يأخذ طعامه في طبق، ويجلس على إحدى الطاولات الدائرية.. ألم تر بعض الناس ما إن يملأ طبقه بالطعام حتى يتهافت عدد من الناس يشيرون إليه بوجود مكان فارغ.. ليجلس معهم.

بينما آخر يملأ طبقه بالطعام.. ويتلفت ولا أحد يناديه أو يقبل عليه.. حتى تسوقه قدماه إلى إحدى الطاولات.

لماذا حرص الناس على الأول دون الثاني؟!

ألا تشعر أن بعض الناس تقبل عليه القلوب أينما كان.. وكأن في يده مغناطيسيًا يجذبها به جذبًا!!

عجبًا! كيف استطاع هؤلاء جميعًا كسب الناس؟! إنها طرق ذكية يستطيع بها الشخص أن يصيد بها القلوب.

قـــرار

قدرتنا على أسر قلوب الآخرين..

وكسب محبتهم الصادقة..

تمنحنا جانبًا كبيرًا من المتعة بالحياة..